الفترة الأولى من حكم الإمام
فيصل بن تركي

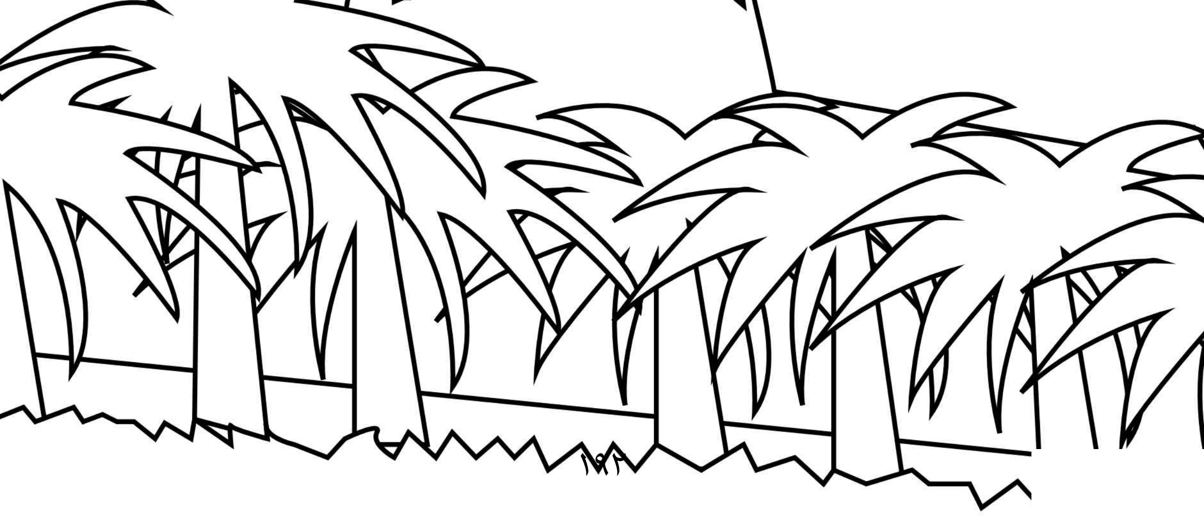

١- تولِّيه الحكم وتثبيته:

حينما وصل إلى فيصل بن تركي خبر اغتيال أبيه واستيلاء مشاري بن عبدالرحمن على مقاليد الأمور في الرياض جمع كبار قادة جيشه، وأطلعهم على ما حدث، فبايعوه بالإمامة. واستقر رأي الجميع على العودة بسرعة إلى الرياض لانتزاع الحكم ممن استولى عليه جورًا[١].

وبعد ثمانية عشر يومًا فقط من اغتيال الإمام تركي بن عبدالله وصل ابنه فيصل بقواته من المنطقة الشرقية إلى الرياض. وتَمكَّن من دخول هذه المدينة مفاجئًا بذلك خصمه الذي اعتصم بقصر الحكم. وكان واضحًا منذ البداية أن كِفَّة فيصل راجحة على كِفَّة مشاري. ذلك أن تقدير سكان العاصمة لأبيه كان عظيمًا. وكان اغتيال ذلك الأب قد ترك أثرًا عميقًا في نفوسهم، وَهيَّأهم للوقوف مع مَن سينتقم من مغتاليه. ولَعلَّ من أَدلَّة ذلك أن من وُضِعوا في بروج سور المدينة للدفاع عنها فرحوا برؤية أتباع فيصل بن تركي، وساعدوهم على الدخول إليها[٢].

وكانت نهاية مشاري بن عبدالرحمن معروفة، فلم تكن مسألة انهياره والقضاء عليه إلا مسألة وقت فقط[٣]. وبعد عشرين يومًا من بدء محاصرته

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٦٥. ويدل كلام ابن بشر، هنا على أن عبدالله بن علي بن رشيد، الذي كان صديقًا لفيصل وأحد كبار أعوانه، كان لرأيه أهميَّة في التوصل إلى ما توصل إليه من قرار. ويذكر هوبير وترجمة عنوان كتابه: (**تقرير عن رحلة في جزيرة العرب**، باريس، ١٨٨٨، ص١٥١ - ١٥٢) أن عبدالله علم بمقتل تركي قبل فيصل بورود رسالة إليه مع أحد القادمين من الرياض، وأنه أخبر فيصلاً بالحادثة. لكن رواية ابن بشر القريب من مسرح الأحداث أقرب إلى الصحة من رواية هوبير.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص٦٦.

(٣) كان معه في القصر مئة وأربعون رجلًا. ومن الواضح مبالغة ابن بشر حين قال عنهم (ج٢، ص٦٦ - ٦٧): وهم في حصن حصين. وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين فوق كمين. وعندهم من الأزواد وفواكه الطعام ما لو حاربوا مئة سنة لكفاهم. ولعلَّ قصده من المبالغة أن الظالم مهما كان قويًّا، فإنه مهزوم لا محالة.

فقد فريق ممن كان معه الثقة بموقفهم، فنزلوا من القصر، وأخبروا فيصلاً واتباعه: أن الذعر قد دَبَّ في نفوس المحاصرين، كما أخبروهم بمواقعهم[1].

وكان مع مشاري بن عبدالرحمن داخل القصر سُويِّد بن علي أمير بلدة جلاجل سابقًا. ولم يكن غريبًا أن يقف سُويِّد مع مشاري لأن الإمام تركي بن عبدالله سبق أن عزله عن إمارة بلدته أواخر سنة ١٢٤٧هـ[2]. وكان يَهمُّه أن يعود إلى تلك الإمارة بأَيِّ وسيلة.

ولَعلَّه رأى طريق العودة إليها في وقوفه مع المستولي الجديد على السلطة في عاصمة البلاد. ومن الصدف أن سُويِّد بن علي كانت تربطه صداقة قديمة بعبدالله بن رشيد، أحد قادة جيش فيصل بن تركي المقرَّبين إليه[3]. وبموافقة من فيصل تَمَّ اتِّصال بين سُويِّد وعبدالله نتج عنه اتِّفاق على أن يُسهِّل الأول مَهمَّة تَسلُّق الثاني مع عدد من أفراد الجيش المُحاصِر إلى داخل القصر، وأن يقف بجانبهم ضد مشاري بن عبدالرحمن على أن يُولِّيه الإمام فيصل إمارة بلدته، جلاجل، وأن تكون إمارتها لذريته من بعده. وحينما أصبح ابن رشيد ومَن معه في القصر انضم إليه سُويِّد وأتباعه. ثم دارت بينهم وبين مشاري ومن بقي مواليًا له معركة انتهت بالقضاء عليه. وذلك بعد أربعين يومًا فقط من اغتيال الإمام تركي وتَولِّيه السلطة في الرياض[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦.

(٢) الفاخري، ص١٧٠، وكان سويِّد قد استولى على إمارة جلاجل سنة ١٢٣٦هـ. المصدر نفسه، ص١٥٤. وقد أصبح له نفوذ قوي في إقليم سدير. وكان ممن وقف مع تركي بن عبدالله في بداية عهده. وبعد عودته إلى إمارة جلاجل زمن الإمام فيصل بن تركي جُعلت زكاتها له.

(٣) كانت الصداقة بين سويِّد وعبدالله قد بدأت حينما كانا في العراق قبل تولِّي سويِّد إمارة جلاجل. انظر عن ذلك نبذة تاريخية عن نجد. أملاها ضاري الرشيد، وكتبها وديع البستاني، درسها وحقَّقها عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤١٩هـ، ص٧٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في رسالة ابن سيف إلى ابن بشر، ج٢، ص٦٧ - ٦٩.

وبعد أن قُضِي على مشاري بن عبدالرحمن، وتَمَّت لفيصل بن تركي السيطرة على مقاليد الأمور في العاصمة، أخذت الوفود من مختلف البلدان، التي كانت تابعة لأبيه، تصل إليه معلنة ولاءها وتأييدها له[١]. وكان من أَوَّل الأعمال التي قام بها الإمام الجديد أن دعا كبار قضاة البلدان إلى عاصمته، وأكرمهم غاية الإكرام. ووجَّه خطابًا إلى أتباعه حَثَّهم فيه على الوحدة والتَّمشي مع أوامر الشرع؛ وبخاصة فيما يَتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الزكاة[٢]. ومعروف أن الزكاة كانت أَهمَّ مصدر من مصادر دخل الدولة حينذاك. ولذلك أمر الإمام فيصل عُمَّالها أن يركبوا مع رؤساء القبائل الذين وفدوا إليه لجبايتها من قبائلهم[٣].

على أن الأمور لم تسر وفق ما كان يَتمنَّاه الإمام فيصل؛ لا من حيث الاستقرار الداخلي ولا من حيث تأدية الزكاة إلى حكومته. ذلك أنه حدث خلاف بين سكان وادي الدواسر[٤]. وامتنعت بعض القبائل من أداء الزكاة إلى عُمَّال الدولة. فأرسل الإمام فيصل جيشًا إلى الوادي المذكور لإنهاء الخلاف القائم فيه. وقام ذلك الجيش بمهاجمة من وقع منهم الخلاف والشغب. ثم عاد إلى العاصمة[٥]. ومع أن الجيش المشار إليه قد أظهر، فيما يبدو، قوة الحكومة

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.

(٢) ومما قاله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى، ويرغب في الفلاح، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يكون الآمر مراعيًا للشروط في ذلك: بأن يكون عليمًا فيما يأمر به، عليمًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه. ابن بشر، ج٢، ص٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٣.

(٤) نص عبارة ابن بشر: «وقع بين أهل وادي الدواسر اختلاف بينهم». المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ومن المحتمل أن المشكلة هناك كانت اعتداء فريق من أهل ذلك الوادي على فريق آخر. وفي ذلك ما فيه من اضطراب أمني.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٢.

الجديدة إلا أنه لم يُحقِّق كل أهدافه، ثم سار الإمام فيصل بنفسه ومع قوات أغلبها من الحاضرة، وهاجم فريقًا من قبيلة الدواسر في العرمة[(١)]. وبذلك أدرك زعماؤهم قوته أكثر من ذي قبل، وأصبحوا على استعداد للإذعان له، ثم اتَّجه بمن معه إلى عالية نجد حيث أقام أربعين يومًا حول بلدة الشُّعَراء هاجم خلالها بعض القبائل التي لم تُؤدِ الزكاة إليه حتى خضعت لحكمه، وأَدَّت الزكاة إليه[(٢)]. وهناك وفد إليه زعماء وادي الدواسر، وبايعوه على السمع والطاعة[(٣)]. ومما قام به وهو نازل حول الشُّعَراء أن عَيَّن صديقه الحميم عبدالله بن علي بن رشيد أميرًا على جبل شَمَّر بدلًا من صالح بن عبدالمحسن بن علي[(٤)]. وبذلك وضع أساس إمارة آل رشيد التي أصبح لها تأثير كبير في تسيير دفة الأحداث في منطقة نجد.

وبعد النجاح الذي حَقَّقه الإمام فيصل في إظهار قوته أمام القبائل النجدية عاد إلى الرياض، وأخذ يعمل لِحَلِّ المشكلة التي كانت قائمة في المنطقة الشرقية منذ أواخر عهد أبيه. وقد أتاحت له ظروفه الداخلية، وظروف خصومه من آل خليفة، التي كان منها تَوتُّر العلاقة بينهم وبين حاكم بلاد فارس، أن يصل معهم إلى اتِّفاق تَخلُّوا بموجبه عما سبق أن استولوا عليه من سواحل تلك المنطقة، وتَعهَّدوا بدفع الزكاة إليه مقابل مساعدته لهم ضد أَيِّ عدوان خارجي[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) من عادة القبائل أن تنهي ارتباطها بالحكومة المركزية إذا توفي الحاكم الذي بايعته. فإن رأت في الحاكم الجديد ما يدفعها إلى مبايعته وإلا رفضت طاعته. وكان ممن امتنع عن دفع الزكاة إلى عُمَّال فيصل فريق من قبيلة قحطان. المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) عن الظروف التي أدَّت إلى ذلك وما حدث بعد التعيين المذكور، انظر عبدالله العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ، ص١١٣ - ١٦٣.

(٥) نخلة، ص٦٦ - ٦٧؛ وايندر، ص١٠٥ - ١٠٦.

٢- الغزو المصري ونهاية فترة حكمه الأولى:

وبينما كان الإمام فيصل بن تركي يوالي جهوده لتوطيد حكمه كان محمد علي حاكم مصر، قد نجح في تحقيق كثير من أحلامه الرامية إلى تكوين دولة كبرى على حساب الدولة العثمانية ذاتها، فقد استولى على السودان والشام وعلى أجزاء من بلاد اليونان والأناضول. وبما أنه قد ضَمَّ أجزاء مُهمَّة من جزيرة العرب قبل ذلك فقد قَرَّر أن يستولي على بقية مناطقها. على أنه أدرك من خلال تجاربه السابقة فيها أن أكثرية سكان نجد بالذات كانوا يُكنُّون مَودَّة وولاء لآل سعود. ولذلك رأى أن أحسن وسيلة تُسهِّل له الاستيلاء على هذه المنطقة هي أن يضع على رأس الحملات العسكرية الموجهة إليها رجلًا من الأسرة السعودية.

وما أن انتهى الإمام فيصل بن تركي من حَلِّ مشكلاته الداخلية، ومشكلته مع آل خليفة، حتى أتاه نذير خطر التدخُّل المصري ضده. وكانت بادرة ذلك النذير أن قدم إليه مبعوث من محمد علي عن طريق حكومة الحجاز يطلب منه تزويد الجيش المصري في الجزيرة العربية ببعض ما يحتاج إليه. ومن المرجح أن فيصلًا قد أدرك بأنه من الصعب عليه إمداد ذلك الجيش الذي إن لم يستعمل ضده مستقبلًا فإنه سيستعمل في ضرب الثورة العسيرية، التي كان يربط زعماءها به الحماسة لمبادئ الدعوة الإصلاحية النجدية. ولكنه رأى من المصلحة عدم الوقوف من الحكومة المصرية، التي أصبحت مرهوبة الجانب، موقف المتشدد. فاستحسن أن يرسل هدايا إلى ممثلها في الحجاز مع أخيه جلوي[١]؛ مؤملاً، فيما يبدو، أن يكون موقفه هذا كافيًا للتعبير عن حسن نواياه تجاهها، ومغنيًا عمَّا طلبته منه. بل إنه أبدى استعداده لمدِّ تلك الحكومة ببعض

(١) سمي جلوي بهذا الاسم، لأنه ولد في أثناء جلاء أبيه تركي بن عبدالله عن الدرعية بعد استسلامها لإبراهيم باشا. وكثيرًا ما سمَّى العرب أبناءهم بأسماء تشفُّ عن الظروف التي ولدوا فيها.

ما طلبته من الإبل. لكن حاكم مصر لم يقتنع بذلك الموقف؛ إذ لم تكن مطالبه في حقيقة الأمر إلا تمهيدًا للقيام بحملة عسكرية يستولي بها على نجد وما يتبعها من المناطق.

وهكذا جَهَّز محمد علي جيشًا بقيادة إسماعيل بك، ولكنه من الناحية الاسمية تحت راية خالد بن سعود، أخي الإمام عبدالله آخر حكام الدولة السعودية الأولى[1]. وكان خالد قد أُخِذَ مع مَن أُخِذ من أفراد أسرته إلى مصر بعد القضاء على تلك الدولة.

ولقد حاول الإمام فيصل بن تركي أن يتفادى الصدام مع الجيش المُوَجَّه إليه بإرسال الهدايا إلى قائديه، وإظهار حسن نيته تجاههما. لكن محاولته لم تؤدِّ الثمرة المرجوَّة. ذلك أن الجيش واصل زحفه من المدينة المنورة إلى الحناكية مُتجِّهًا إلى القصيم. وهنا استقر رأي الإمام فيصل على أن يَتَّجه بقواته إلى ذلك الإقليم لئلا يقع في يد خصومه. وغادر الرياض آخر شهر شوال سنة ١٢٥٢هـ.

ولما وصل الإمام فيصل بأتباعه إلى إقليم القصيم أقام قرب التنومة فترة علم خلالها أن الجيش المصري قد وصل إلى بلدة الرس إحدى بلدانه المُهِمَّة. فَتوجَّه الإمام إلى بلدة عُنَيزة ونزلها. فوقف معه أميرها وأهلها. ثم استنفر أمير بُرَيدة فوقف معه. وبعد ذلك تَحرَّك بقواته ومن انضم إليه من أهالي القصيم إلى رياض الخَبْراء. وأقام هناك حوالي عشرين يومًا مستعدًّا لمحاربة خصمه.

---

(١) في عام ١٢٤٨هـ قدم إلى بُرَيدة رجل ادَّعى أنه خالد بن سعود، وأنه قد هرب من مصر. فأمر الإمام تركي أتباعه بإكرامه وحين وصل إلى الرياض اكتشف بعض من عرفوا خالدًا في مصر بأن الرجل المدَّعي كاذب. فهرب من العاصمة إلى مصر، ابن بشر، ج٢، ص٥٨. ويقول عبدالرحيم (**محمد علي**، ص٢٦٥ – ٢٦٧): إن ذلك الرجل كان عجيل بن حمود أحد مشائخ عنزة، وإنه هرب من الرياض إلى المدينة المنورة، مؤملاً أن يجد لدى المسؤولين فيها مساعدة لحرب تركي. ثم بُعِثَ به من هناك إلى مصر.

وفي آخر الأمر قام ببعض الإجراءات التي جعلت بعض أتباعه يظنُّون أنه منهزم. فَدبَّت الفوضى بينهم. ورجع الإمام إلى عُنَيزة. ثم غادرها عائدًا إلى الرياض[1].

ومن سوء حظ الإمام فيصل أنه حين عاد من القصيم إلى عاصمة بلاده وجد أن الفشل قد دَبَّ في نفوس أهلها، وأنهم غير مستعدين لمواجهة الجيش المصري. بل إن قسمًا منهم كان مُهيّئًا للانضمام إلى ذلك الجيش؛ إما لأنهم رأوا أَحقِّية خالد بن سعود في الحكم، وإما لأنهم خافوا من بطش الغزاة[2]. وعلى أَيِّ حال فإن الإمام فيصلًا حينما رأى ضعف موقفه في الرياض قَرَّر أن يتركها. فأخذ ما استطاع أخذه من قصر الحكم، واتَّجه هو ومن اتبعه إلى الخرج، ثم تَوجَّه من هناك إلى الأحساء[3].

أما إسماعيل بك وخالد بن سعود فَتقدَّما بالجيش المصري إلى عُنَيزة فور مغادرة الإمام فيصل لها. وقد تَمكَّنا من الاستيلاء عليها صلحًا. ثم دخلت بقية بلدان القصيم تحت طاعتهما. وعندئذ بعثا أربع مئة فارس تركي ومئة رجل من أهل عُنَيزة بقيادة أميرها يحيى بن سُلَيم، مع عيسى بن علي، أحد أفراد الأسرة التي كانت لها إمارة حائل، إلى جبل شَمَّر لانتزاع حكمه من عبدالله بن رشيد. وحين اقتربت تلك القوة من الجبل هرب منه الأمير عبدالله، وذهب إلى بلدة جُبَّة[4]. ودخلت القوة المذكورة بلدة حائل دون مقاومة. وبعد أن

(١) ابن بشر، ج٢، ص٨٦ و٨٨ – ٩٠.

(٢) من بين الذين وقفوا ضد الإمام فيصل أحد مماليك آل سعود، خير الله، الذي كان يعتمد عليه ذلك الإمام. وقد أشارت إلى ذلك القصيدة المنسوبة للإمام، انظر: الحاتم، ج٢، ص١٢.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٩٠.

(٤) جُبَّة تبعد عن حائل تسعين كيلًا شمالًا. انظر عنها حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة**، دار اليمامة، ١٣٩٧هـ، ص٣٠٨ – ٣١٠. وكان حاكمها حينذاك ابن رخيص، الذي آوى عبدالله وأكرمه. انظر عن ذلك العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد**، ص١٤٠ – ١٤٣.

ظَنَّ عيسى بن علي أن مركزه هناك قد أصبح آمنًا عاد يحيى بن سليم ومن معه إلى عُنَيزة، ولم يبق لدى عيسى إلا مئة جندي[١].

وعندما كان إسماعيل وخالد في عُنَيزة قدمت إليهما وفود من بلدان نجدية مختلفة معلنة ولاءها. ومن بين هذه الوفود أناس من أهل الرياض ذاتها[٢]. وبدا أن كثيرًا من سكان المنطقة يُؤَيِّدون الجيش المصري الغازي، أو على الأَقلِّ لا يعارضونه. ثم تَوجَّه القائدان المذكوران إلى الرياض، فدخلاها دون قتال بعد أن هرب منها من لم يرضوا أن يخضعوا لحكومة مصر. ومن بين هؤلاء عدد من آل الشيخ ذهبوا إلى جهات الحلوة. والحَرِيق، وحوطة بني تميم، في جنوبي نجد، فأصبحوا من أكبر مُشجِّعي سكان تلك الجهات على الصمود ضد الغزاة. وكان وصول إسماعيل وخالد إلى الرياض في السابع من شهر صفر سنة ١٢٥٣هـ[٣].

وبعد أن أصبحت الرياض وجميع البلدان النجدية الواقعة غربها وشمالها تحت نفوذ الجيش المصري، أراد خالد بن سعود أن يسيطر على بلدان جنوبي نجد. لكن سكان تلك البلدان رفضوا طاعته ما دام يَستظلُّ بِظلِّ جيش محمد علي، فَتوجَّه إليهم بقواته لإخضاعهم بالقوة. ولكنهم تَمكَّنوا من إنزال هزيمة ساحقة به قرب بلدة الحلوة. فعاد بفلول جيشه المنهزم إلى الرياض[٤].

وكان لهزيمة خالد بن سعود ومن معه في جنوبي نجد دَويّ هائل بين النجديين بصفة عامة. وقد رأى فيها الإمام فيصل بن تركي بشائر نصر له ضد خصومه. فَتوجَّه مسرعًا من الأحساء إلى الخرج حيث لحق به أنصاره؛

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٩١ – ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢.

(٣) الفاخري، ص١٧٣؛ ابن بشر، ج٢، ص١٩٣.

(٤) انظر تفصيل ذلك لدى الفاخري، ص١٧٣ – ١٧٤، ابن بشر، ج٢، ص٩٣ – ٩٤.

وبخاصة أولئك الذين سبق أن أحرزوا النصر على خالد ومن معه. ثم زحف بالجميع حتى وصل إلى قرب الرياض. فاشتبك مع خصومه، وانتصر عليهم، ثم حاصر الرياض ذاتها، وكادت تسقط في يده لولا أن إمدادات من قبيلتي سبيع وقحطان وصلت إلى هناك لنجدة خالد بن سعود ومن معه. فاضطر فيصل إلى فك الحصار عن العاصمة، وتراجع إلى بلدة منفوحة. ثم جرت اتصالات بينه وبني خالد لعقد الصلح. لكنهما لم يتوصلا إلى ذلك، فاستؤنفت الاشتباكات[1].

وفي أثناء ذلك جرت اتِّصالات بين فيصل بن تركي ووالي العراق العثماني[2]. ومن الواضح أن كُلًّا منهما حاول أن يستفيد من الآخر في الوقوف أمام العدو المشترك لهما حينذاك، وهو محمد علي. وحينما أدرك هذا الأخير ضعف موقف خالد بن سعود ومن معه بعث حملة جديدة إلى نجد بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين، وهو خورشيد باشا. وكان من أَوَّل ما قام به ذلك القائد أن أرسل إلى فيصل بن تركي هدية مع عبدالله الشريف، صاحب بلدة ينبع؛ آذنًا له أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض، وواعدًا إيَّاه «التقرير في ملكه، ولا عليه منازع»، كما يقول ابن بشر[3]. ولَعلَّ ما حدث هو أن ذلك القائد وعد فيصلًا بأن يَظلَّ حاكمًا على أجزاء مما كان تحت يده؛ مثل الجهات الجنوبية من نجد والأحساء، وهما الجهتان اللتان كانتا ما تزالان مواليتين له. ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ما ينال. ولم يكن فيصل غير راغب في الصلح؛ لا سيما بعد أن علم بقوة الحملة الجديدة. فتراجع إلى

---

(١) المصدر الأخيرة نفسه، ج٢، ص٩٥ – ٩٧.

(٢) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٠١ – ٣٠٢.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٩٨.

الدِّلَم، وبعث هدية إلى خورشيد مع أخيه جلوي بن تركي، الذي بقي مع ذلك القائد في مسيرته من الحجاز حتى وصل إلى القصيم. وسواء كان بقاء جلوي مع خورشيد شرطًا من شروط الأخير ليضمن عدم مهاجمة فيصل لخالد بن سعود، أو كان رغبة من ذلك الإمام في كسب ثقة القائد المذكور وزيادة في إظهار حُسن نواياه تجاهه، فإن جلوي بن تركي هرب من عُنَيزة بعد أن اتَّضحت له حقيقة موقف خورشيد من أخيه الإمام فيصل(١).

وبينما كانت تلك الأحداث تجري حدث تَغيُّر في سير الأمور بمنطقة جبل شَمَّر. فقد ترك عبدالله بن رشيد جُبَّة، واتَّخذ من بلدة قُفَار المجاورة لحائل مركزًا لنشاطه ضد عيسى بن علي. وفي أثناء مواصلته لذلك النشاط أشار عليه رجل من حائل بأن يذهب إلى المدينة المنورة، ليتَّفق مع خورشيد باشا ويتعاون معه، مقابل مساعدة ذلك الباشا له على استعادة إمارة الجبل. وذهب عبدالله إلى هناك، واتَّفق مع خورشيد. لكنه لم يعد إلى جبل شَمَّر إلا وقد نجح أخوه عُبيد في الاستيلاء على حائل وإخراج عيسى بن علي منها. وبذلك عاد عبدالله بن رشيد إلى إمارة الجبل بقوة أخيه عبيد وأعوانه، وبمباركة قائد الحملة المصرية الجديدة، خورشيد باشا(٢).

ولقد استقام خورشيد في عُنَيزة حوالي خمسة أشهر وفد إليه خلالها كثير من زعماء القبائل الكبيرة في نجد معلنين ولاءهم له، واستعدادهم للقيام

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٨ - ٩٩ و١٠١ و١٠٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين في **نشأة إمارة آل رشيد**، ص١٤٦ - ١٥٢.

ومن الواضح أن عبدالله بن رشيد رأى استعداد الإمام فيصل للاتفاق مع خورشيد، كما رأى قوة هذا القائد، فتعاون معه. وقد كان ذلك التعاون لمصلحته ولمصلحة صديقه الإمام فيصل مستقبلًا؛ إذ كان جبل شمَّر النقطة التي انطلق منا ذلك الإمام سنة ١٢٥٩هـ لاستعادة حكمه.

بما يأمرهم به. كما وفد إليه الأمر عبدالله بن رشيد، ونال تقديره وهداياه[1]. ثم واصل قائد الحملة سيره إلى الرياض. فلما وصل إليها أفصح عن نواياه الحقيقية تجاه فيصل بن تركي، وأنذره بأنه سيحاربه إن لم يستسلم له. ورفض الإمام أن يستسلم لخورشيد، فاتَّجه هذا القائد لمحاربته. ودارت بينهما عدة معارك في جهة الدِّلَم. وكان النصر في النهاية لخورشيد ومن معه. واضطر الإمام فيصل إلى أن يقابله لإنهاء الحرب. واتَّفقا على أن يُؤَمَّن أتباع فيصل، وأن يَتوجَّه هو إلى مصر، وكان ذلك في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٢٥٤هـ[2]. وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل الأولى، وحُمِل إلى القاهرة في اليوم الثاني من شهر شوال من تلك السنة[3]، التاسع عشر من ديسمبر عام ١٨٣٨م.

*****

(١) وقد حدثت بين خورشيد وأهل عنيزة مشكلة قتل بسببها تسعون رجلًا من جنده وخمسون من أهل تلك البلدة. انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص١٠١ - ١٠٢ والفاخري، المصدر السابق؛ ١٧٤. ولمزيد من التفصيلات انظر دراسة الدكتور محمد الثنيان، «**انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها**»، **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية**، ١٤٠٨هـ ص٢٤٧ - ٢٧٩ وكتاب الدكتور محمد السلمان، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، عنيزة، ١٤٠٧هـ، ص١٠٣ - ١٠٦.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٠٢ - ١٠٧.

(٣) عبدالرحيم، **محمد علي**، ص٣٠٩.